د. هناء الشنواني

حوار بين الحمار حا وحفيده الجحش جا

(1)

جدو حا هو حمار عجوز، وحفيده جا جحش صغير يعيشان في حظيرة من حظائر الصعيد. ذات مرة دخل جا يلهث وارتمي في حضن جده يبكي، ويقول:

مصيبة ياجدو مصيبة! سمعت هريدي بيقول لمسعد إحنا نخطف كل كام يوم حمار ونقطعه ونبيع لحمته في مطاعم القاهرة حنكسب دهب، فجيت جري لازم ياجدو نبلغ الشرطة.

بلاتبلغ بلازفت مالناش دعوة خلينا في حالنا إنت أهم حاجة ماتخرجش لوحدك وخلاص وطالما عندك برسيمك ومية المجاري طافحة جنبنا وبتشرب عايز ايه تاني ياجحش؟؟ احمد ربنا لا النعمة تزول.

لا ياجدو لازم نبلغ الشرطة وبعدين لما باسمع كلامك دايما مابشوفش خير، وبقيت باخاف.

طيب حنبلغ الشرطة إزاي وهم مابيفهموش في لغة الحمير؟

نطلع الجبل عند الشيخ همام هو بيعرف وهو يقولهم.

وعند الشيخ همام:

لا... ابعدوا عني مش عايز أنزل والناس طول الطريق بتبوس إيدي وتقول لي بركاتك ياشيخ همام! أنا لاأحب هذا الشغل.

بس انت حتنقذ أرواح حمير بريئة مش خايف من ربنا؟

طيب أمري إلى الله حانزل أبلغ المرة دي على شرط ماشوفش وشكم تاني لأن أنا عارف الحمير طلباتها لاتنتهي.

في الحظيرة:

الحمد لله ياجدو كل البلد بتصدق الشيخ همام من ساعة ماكان العمدة مش لاقي ابنه والشيخ همام قاللهم الحمار بيقول إنه وقع في حفرة كبيرة ورا الخرابة اللي في آخر البلد، وراحوا فعلا ولاقوه، ومن ساعتها والناس بتعامله باحترام زايد، وبتبوس إيده.

جدو! أنا بافكر أقول للشيخ همام يكلم العمدة يخليني أبقى عضو في مجلس الشعب وأنهق هناك عشان عندي كبت وعايز أطالب بحقوقي زي حمير أوروبا.

ماتقارنش نفسك يابني بحمير أوربا دول حلوين أوي سمعت أن عينهم خضرا وشعرهم أصفر شكل الأجانب اللي بييجوا يشوفوا الآثار عندنا، وبينهقوا بالانجليزي، وبعدين الشيخ همام مش قاللك ماشوفش وشكم تاني، خللي عندك كرامة يابني.

أنا مابشحتش ياجدو أنا بطالب بحقوقي.

حقوق إيه ياجحش؟ عيش عيشة أهلك طول عمرنا في حالنا من أيام الفراعنة.

نظر جا إلى جده والدموع تترقرق في عينيه، فقال له:

طب نام دلوقت وكمان كام يوم روحله لوحدك نهق عنده أنا مش حاروح معاك أنا كبير في السن ومش ناقص هبلك، وبعدين حتحتاج في المجلس مترجم دائم والشيخ همام معتزل.

أنا حاروح له ياجدو وأحاول أقنعه.

براحتك يابني بس أنت مسئول عن تصرفاتك.

نهق الحمار جا من السعادة والتفاؤل ونام يحلم أحلاما سعيدة، ثم استيقظ في الصباح على ركلة من رِجْل يوسف بن الحاج متولي وهو يقول له ياللا بينا على الغيط ياجحوش.

(2)

جدو جدو الحمد لله المحافظ وافق على دخولي البرلمان وحاكون أول حمار ينهق في البرلمان.

طيب يابني مبروك عليك خد بالك من نفسك وخليك متزن عشان أنا شايف الفرحة مطيرة مخك اهدا وخد بالك من كلامك ماتخليش الناس تاكل وشنا وتقول علينا بهايم.قل لي ياللا جهزت إيه؟؟

أول حاجة ياجدو عايز الحمير يبقى ليها احترامها يعني السايح الأجنبي لما يشوف الحمار المصري يحترمه ويشعر بالهيبة.

ودي ازاي يابني؟؟ يلبسوه بدله يعني ونضارة؟

لا ياجدو لا، أولا لما الناس تحترم الحمار هو سيشعر بالثقة والهدوء والتوازن النفسي. وبعدين ياجدو فيه حمير عندها أمراض جلدية لازم تتعالج ومايضرش لو جبنا سلالات جديدة من حمير أجنبية قوية لتحسين السلالة.

لالا يابني أنا مش معاك في دي، يعني معاك في حق العلاج والرعاية لكن الزواج لا، لازم نحافظ على سلالة الحمير بتاعتنا احنا يابني مافيش مننا في العالم.

مافيش مننا؟ حضرتك أبهرتني ياجدو ؟ازاي؟؟؟

بص لي كويس يابني وأنت تعرف تأمل في.

آه ياجدو شايفك

شايف إيه؟

شايفك واقف في نفس المكان من ساعة مافتحت عيني في الدنيا. لدرجة ياجدو كنت باحسبك تمثال من تماثيل الفراعنة وبعدين لقيتك اتحركت مرة فعرفت إنك مش تمثال بس اتحركت لورا، مشيت خطوتين لورا.

شفت يابني؟!! هو ده سر عظمتنا وسر عظمة البرسيم بتاعنا نقدر نمشي بظهرنا ونقف لفترات طويييلة تبهر العالم. واللي بيخالفنا بيحصله زي ماحصل لعمي جلجل.

مين ده ياجدو وحصل له إيه؟؟

آه دي حكاية قديييمة أوي حاحكيهالك بعدين.

(3)

-جدو الحقني ياجدو! حضرتك عارف إن سمعي سوبر، سمعت الحاج مسعد وهو في بيته بيكلم واحد صاحبه وبيقوله: الحمار جا والشيخ همام لازم نخلص منهم إحنا مش ناقصنا حمير في المجلس!!! شكلهم ياجدو حيقتلونا.

-ماتخافش ياجا، وبعدين مش قد السياسة ماتكملش!

-لاياجدو أنا باطلب مشورتك بس وأنا مكمل الموضوع بس أنا اتفاجأت!

-رأيي أنك تروح للشيخ همام وتقول له يعلم لغة الحمير لعشر شباب يكون عندهم علم وأمانة ويقول لهم عشان لو هو مات يحلوا محله وكل واحد يعلم عشرة وبالطريقة دي المقاومة ماتقفش.

-إيه ياجدو العظمة دي؟؟ إيه الأفكار الجامدة دي؟!؟! أنا حاموت من الانبهار!

-أنا يابني لما سمعتك بتقول عايزين يقتلوك من الخضة عليك ومن الخوف عقلي اشتغل، أنا أصلا طول عمري مابحبش أشغله ومبسوط وراضي وحامد ربنا به كده. ورأيي يابني إنك تعتزل وتمشي جنب الحيط لا يحصللك زي ماحصل لعمي جلجل.

-حصل له إيه ياجدو؟؟؟

-حاقولك بكرة يابني،أنا فكرت النهاردة فتعبت وحاسس بصداع ودوخة وعايز أنام.

(4)

-مش حتحكيلي ياجدو حكاية عمك جلجل؟؟

-كان زيك كده يابني ثوري ومش عاجبه حاجة في البلد، وقال إيه لازم يقاوم الفساد وعمل جماعة اسمها رابطة أحرار الحمير، وكل واحد فاسد في البلد يقطعوا عنه الميه والنور، والناس قالت البلد فيها جن بيعاقب الفاسدين وكله بقى خايف، والبياعين بقو يوزنوا بالحق والأسعار رخصت، لحد مافي يوم من الأيام شيخ الخفر شاف عمي جلجل وهو بيقطع سلك كهربا بيته، كان الوقت متأخر أوي ساعتها وشيخ الخفر كان قاعد في الضلمة برة بيته مش جايله نوم، فشافه،ففهم الموضوع ودبحه في ميدان عام.

-طيب ياجدو هو عمك جلجل ماخدش باله ليه؟

-يومها يابني اتخانق مع قرايبه وأصحابه والخناق يابني والاختلاف بيجيب الفشل.

-طيب ياجدو وجماعته كملت ولا لا؟؟

لا يابني قالو خلاص انكشفنا فماينفعش نكمل.

-بس المفروض ياجدو يغيرو الخطة ويكملو لأن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك!

-إيه يابني الكلام ده جايبه منين؟؟ !!!

-سمعته من المدرسة باقف جنب حيطة المدرسة وباسمع دروس التاريخ ياجدو باحبها أوي.

-نهارك أبيض ياجحش ماتسمعلهمش تاني يابني أنا خايف عليك. وبعدين هم بيتعلمو عشان ياخدو ورقة كده ويعلقوها في بيتهم، أنت بتتعلم ليه؟؟

-عشان ياجدو العلم قوة.

-قوة إيه بس؟ شكلك رايح في سكة عمي جلجل ياجحش.

(5)

-مالك ياجا؟ شكلك زعلان؟؟؟
-نعم ياجدو البقرة ريري شافتني قالتلي كلام يسد النفس.
-قالتلك إيه العبيطة دي كمان أم غل؟
-قالتلي مالك فرحان أوي كده ليه؟ كأنك بطل، أنت رحت ولاجيت حمار ابن حمار.
-ماتزعلش ياجا لازم طالما حاتشتغل سياسي لازم تكون تنح من التناحة وبارد وماعندكش دم ياإما بلاها سياسة، أنا يابني باحب الهدوء والسَكِينة وأنت بتتعبني.
-إزاي ياجدو بس أنا لحم ودم وباحس.
-هو كده يابني،طالما إحساسك عالي شوية سيب المجلس، أنت لسه ماشفتش حاجة، ده أنت لو اعترضت بحق وحقيقي حتتفضح بالكذب وسنتك سودة أنت وعيلتك وحيعروك باللي عملته وماعملتوش وحتنضرب.
-طيب ياجدو خلاص حاحاول أجمد لأني فعلا عايز أطور من أحوال الحمير، فلازم أصبر.
-أنت حر يابني. بس أنا مابحبش الأكشن، الأكشن ماليش فيه، فمش كل شوية تغمني، شفلك حد بارد ماعندوش دم واحكي له مشاكلك زي مثلا كده ابن خالتي شكشك، ده لو الدنيا اتهدت حواليه مابيتحركش ولا

للأمام ولا للخلف كأنه عمود يابني،خد رأيه في كل حاجة، هو شكله عبيط لكن عنده عقل يوزن بلد وعنده فكر، بس مبدأه في الدنيا: هات لي البرسيم وافعل ما تريد.

-لا لا لاياجدو عقل ايه ده؟؟ لا ده غبي، مش حضرتك ياجدو قلتلي اللي مالوش خير في نفسه مالوش خير في حد؟؟

-ماهو يابني شايف أن مافيش فايدة. وده عين العقل.

-لا ياجدو مع احترامي لحضرتك لا الكلام ده غلط.

إذا الشعب يوما أراد الحياة

فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلي

ولابد للقيد أن ينكسر

دخل يوسف ابن الحاج متولي وزعق لجا وقال له يالا ياجحوش على الغيط ورانا شغل، قلبي بيقوللي أنك بتفهم وذكي مش زي جدك العبيط ده. وقلبي بيقوللي إن بلدنا حتتصلح على إيدك ياحمار، نهق جا ورفع رأسه عاليا، فقال له يوسف:

بس بلاش الثقة الزايدة دي عشان بتفكرني بنفسي زمان وفُقْت منها بعلقة أخدتها في القسم،آه ياجحوش أنا حاسس أنك فاهمني، ذات مرة اعترضت وأنا في الكلية وعملت مظاهرة اتقبض علي وخدت علقة في القسم ومن ساعتها وأنا تبت وماشي جوة الحيط.

(6)

-الحقني ياجدو!!! مضايقني في المجلس وعايزين يطفشوني طالبين مني ألبس بدلة وكرافتة!

-جميل ياجا عشان تبقى زيك زيهم، إيه اللي مزعلك؟؟ كده حتبقي فيه مساواة.

-بس أنا ياجدو مابحبش المظاهر أحب أكون على طبيعتي أحب وداني وديلي يبقو ظاهرين مابحبش النفاق.

-لا يابني أنا مش معاك، لازم تستر نفسك وتبقى زي بقية الأعضاء، وأنت بالطريقة دي ممكن تنتخب نفسك لمنصب رئيس المجلس.

-لاياجدو مش للدرجادي أنا جنسي مختلف عنهم.

-والله يابني أهم شيء المخ والمفهومية.

-لا ياجدو من حيث المخ هم ماشفتش في غباءهم.

-طيب اتشطر كده وريني همتك عشان تبقى رئيس المجلس

-حاضر ياجدو هو الموضوع عايز شغل، لازم ألف على كل بيوت البلد بيت بيت كل يوم واسمع بيقولو إيه ومحتاجين إيه ومين اللي بيسرق البلد. أهم حاجة المعلومات.

-بدل ماتتعب نفسك يابني روح بيت حمدين المخبر واسمع منه، عنده كل

الأخبار .

-ضحكتني ياجدو، حمدين المخبر ده أغبى واحد في البلد، مرة سمعته بيقول للضابط معلومات كلها غباء في غباء، سمع مرة أدهم ابن الحاج فرج بيصرخ كان عنده نوبة صرع بعيد عنك وبيقول لاإله إلا الله الله أكبر الله أكبر، وأبوه فضل يقول لأمه خبي السلاح خبي السلاح، كان خايف لا يطخ نفسه من التعب، راح حمدين للضابط وقال له: أدهم ده في جماعة الجهاد.

-والضابط كتب وراه؟؟؟

-أيوه ياجدو أومال!!!!! لازم يشتغل يعني يقعد فاضي؟!!!

(7)

-مالك ياجا زعلان ليه ومقهور؟؟ المفروض تبقى فرحان، رحت المجلس النهاردة بالبدلة والكرافتة وآخر شياكة.

-بس ياجدو البقرة ريري قعدت تضحك لما شافتني وتتهز من كتر الضحك وقالت: بطلو ده واسمعو ده الحمار لبس بدلة.

-مش قلتلك ولا تهتم يابني بيها، أنت كده شكلك مش حتكمل في السياسة.

-خلاص ياجدو حاجمد حاجمد حاجمد أهو.

-جا!!!

-نعم ياجدو!

- شايف شكشك ابن خالتي جاي من هناك أهو، أول مرة يتحرك من مكانه ده أكيد قام مالاقاش البرسيم بتاعه، فيه إيه؟ فيه إيه؟ طمني ياشكشك، منعوا البرسيم من البلد؟؟؟

-حفيدك جا فضحنا ياحا، البلد كلها بتقول إن جا على علاقة مع البقرة ريري!

-إيه؟

-زي مابقول لك كده؟؟

-وأنت صدقت؟؟

-طبعا صدقت، كل يوم بشوفها وهي بتضحكله!

-لا...ياشكشك دي بتضحك عليه، دي بقرة حقودة غبية مستفزة

-بس إحنا اتفضحنا في البلد

-لا ياشكشك أكيد حمدين المخبر طلع الإشاعة دي عشان جا رشح نفسه لرئاسة المجلس ولسه ياراجل كتر من الفضايح

-أنا رأيي إنه يرجع زي الأول، وينسي موضوع المجلس ده خالص كفاية اللي أبوه عمله لما ماسمعش كلامك وهاجر لإيطاليا على لوح خشب.

-أول مرة أعرف ياجدو الموضوع ده، أنا باحسب أبويا واحد أجنبى اشتراه وأخده معاه إيطاليا.

-دي حكاية طويلة ياجا حاحكيهالك بعدين، أنا كنت مخبيها عنك عشان ماتطلعش زيه حمار عاق ماسمعش كلامي وكان متطلعا وعنده طموح واتجوز حمارة إيطالية.

(8)

-باركلي ياجدو، الحمد لله، عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم.
-خير ياجا
-ريري شافتني النهاردة حطت وشها في الأرض واتكسفت ومشت شكلها صدقت الإشاعة بس الحمد لله ربنا كفاني أذاها
-الحمد لله ياجا
-وكمان سمعت ناس في المجلس بيقولوا إنهم حيختاروني كرئيس للمجلس لأن طالما أنا قدرت أخلي بقرة تحبني يبقى كده حاقدر أثر على الناس اللي فوق.
-الحمد لله، بركة دعايا يابني
-ماتفرحش أوي ياجدو لسه فيه اتنين حرامية في المجلس سمعتهم بيقولوا لازم نقتله هو والمترجم الشيخ زفت. هم مايعرفوش أن سمعي سوبر.
-خلاص ياجا تبلغ الشباب اللي اتعلموا لغة الحمير إنهم يكتبوا على حيطان البلد لو جا أو الشيخ همام اتقتلوا حانكتب فضايح أعضاء المجلس على حيطان البلد، وبكده حيخافوا. ويكتبوا كلنا جا والشيخ همام.
-الله أكبر ياجدي الله أكبر لما الحمير تفكر وتحكم الدنيا حتتصلح.
-قول إن شاء الله ياجا.
-إن شاء الله ياجدو

(9)

-بارك لي ياجدي كسبت في الانتخابات بقيت رئيس مجلس الشعب، ياسلام ياجدو لو سمعت خطبة الشيخ همام وهو بيخطب على لساني، ماهو ياجدي المتحدث الرسمي لي، وكل شباب القرية المتعلمين دلوقت فهموا لغة الحمير بس مابيتكلموش، هم بس بيهددوا بفضح أكاذيب الحرامية لو قتلوني، المهم ياجدو الشيخ همام قال لهم في الخطبة:

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني أنا أخوكم الحمار جا لتمثيلكم في مجلس الشعب وسوف ترون بلدنا دولة عظمى على يدي وبمساعدتكم إن شاء الله.

-ألف مبروك ياجا .

-بالمناسبة دي بقي ياجدو أنا قلت للشباب على نظريتي عشان يكتبوها في الجرايد ويعلموها للناس.

-نظريتك؟!!!! قول ياجحوش يابني

-بص ياجدو أهل القرية بقالهم سنين طويلة مابيتغيروش ماعندهومش أمل وماسكين في كلمة واحدة أمر الله وقدر الله ومشيئة الله، وشكلهم بالضبط شكل الحجارة القديمة مع أن الحجارة ياجدو بتتغير سبحان الله.

مش عارف جبلتهم إيه دول؟

-إيه ياجا، كلامك ده يابني كفر بقدر الله!!!!؟

-لاياجدو ماقصدش، لازم يغيروا ويبقى عندهم عزيمة للتغيير ولو حصل حاجة يقولوا قدر الله ويكملوا شغل مايقفوش أبدا مش هو ده الإسلام؟؟؟ لو القيامة قامت وفي إيدك شغل تكمله؟؟؟ده الأجانب ماعندهومش الجملة دي مايعرفوهاش ولايفهموها، لكن بمعتقدات أهل بلدنا ده يبقى نموت أحسن.

-كده انت صح ياجا ربنا معاك يابني يارب وترشح نفسك لرئاسة الجمهورية.

-لا ياجدو مش للدرجادي

-لا للدرجادي يابني، طالما معاك الشباب المثقف الواعي ده تقدر يابني. الشباب اللي بيساعد بدون مقابل مش فارق معاه رئيسه بديل ولابودان طويلة أهم حاجة يكون قلبهم على بعض وكلهم إيد واحدة ويكملوا بعض.

(10)

-مالك ياجا بتعيط ليه؟ أول مرة أشوفك بتعيط ومنهار؟
-جدو أنا مصدوم، لما حضرتك قلت لي أرشح نفسي لرئاسة الجمهورية قلت أتصنت على ناس أكتر في البلد عشان يبقى عندي معلومات وأعرف الناس بتفكر ازاي،اكتشفت ياجدو أن البلد دي فيها ناس وس....
-بس بس بس عيب اللفظ ده مايطلعش من حفيدي ابن الأصول قول ناس مش كويسة أو قذرة
-لاياجدو أنا مش باشتم دي فعلا فيه ناس مش كويسة وناس قذرة وناس وس... وناس بنت ستين و...
-بس ماتكملش ولو عايز تكمل ماتقعدش معايا في الزريبة
لاحول ولاقوة إلا بالله، كده أنت ماتنفعش تبقى رئيس، الرئيس لازم يكون مؤدب ومايقولش ألفاظ.
-آسف ياجدو بس فوجئت بالناس حقد ونفاق وكره إيه ده وكذب وتخطيط في الشر، الناس مش بتريح بعض، أومال عايزين الحكومة تريحهم إزاي؟؟
-ماهو يابني بسبب الإعلام والتعليم والمسلسلات والشيوخ وحاجات كتير
-بس ياجدو ماتفكرنيش بالشيوخ

-بترفس ليه تاني؟؟ وبتشد في ودنك ليه؟ لاتطول بعدين زيادة
-آه ياجدو سمعت شيخ بيعاكس واحدة في التليفون بكلام وحش أوي.
-إنا لله وإنا إليه راجعون دي مصيبة إيه دي ووجع دماغ إيه ده كنت مرتاح طول عمري، فرحان بالبرسيم ومية المجاري ومش ناقصني حاجة أستغفر الله العظيم يارب، ماتقعد يابني وتسيب الهباب ده طالما أعصابك رهيفة كده .
-لا ياجدو فكرتني بالميه مانا سمعت ناس تقيلة أوي في البلد بيقولو كمان سنتين مش حيكون فيه ميه وحنشرب البول .
-بول؟؟ الحمد لله وماله؟ أحسن من وجع الدماغ بتاعك، مالبول ده يابني ميه برضه بس لونها أصفر.
-طيب ياجدو مش مشكلة اللون طيب حنعمل إيه في الريحة؟
-سد مناخيرك ياغبي وأنت بتشرب!